

آليات انتقال الأفكار ودورها في التجديد الثقافي

د/ سليمان الخطيب

قسم الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم - جامعة المنيا

هل يحق لكل من يتصدي لعالم الأفكار أن يردد ويروج من خلال عملية التفاعل مع الآخر لأفكار تتصادم مع خصوصيته الحضارية ؟ وهل يعني التعامل مع الآخر في عالم الأفكار أن تغيب الضوابط والشروط اللازمة لكي يؤدي هذا التفاعل ثماره ونتائجه المرجوة .

وإذا ما حاولنا بيان علاقة الفكر بالكيان الحضاري فإن تنظيم المجتمع وحياته وحرركته ، بل فوضاه وجموده وركوده كل هذه الأمور ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار المنتشرة في ذلك المجتمع ، فإذا ما تغير هذا النظام بطريقة أو بأخرى فإن جميع الخصائص الاجتماعية الأخرى تتعدل في نفس الاتجاه ، فالأفكار في مجموعها تكون جزءاً هاماً من أدوات التطور في مجتمع معين ، كما أن مختلف مراحل تطوره هي في الحقيقة أشكال متنوعة لحركة تطوره الفكري .

والقراءة الواعية لحركة الأحداث في واقعنا المعاصر تدرك بوضوح أن الذي يفصل ما بين الشعوب ليس هو المسافات الجغرافية ، وإنما هي مسافات ذات طبيعة أخرى يمثل عالم الأفكار أهم معالمها وينطبق هذا المعنى بوضوح علي وضع الترددي الحضاري الذي تحياه مجتمعاتنا الإسلامية .

وإذا كان التقدم الحضاري يبدأ من خلال الأفكار ، فإن التحليل الحضاري يبدأ أيضاً من خلالها وتختلف العالم الإسلامي ليس في فقره ، ولكن في تبعيته الحضارية واغتصاب خيراته ليكون في موقع الحاجة الدائمة وذلك بتدمير الخصوصية الثقافية للذات العربية الإسلامية وإعادة صياغتها ضمن القوالب الغربية.

في هذا الصدد فإن الحضور الفكري الغربي في واقعنا الثقافي والترويج له علي كافة المستويات ، أصبح ظاهرة لا تخفي علي أي راصد ومتابع لحركة انتقال الأفكار بين المجتمعين الإسلامي والغربي ، ومن ثم تفرض تلك الثنائية والانشطار اللذين يشكلان نقطة الضعف الخطيرة في واقعنا الثقافي الراهن والتي منها يمارس الاختراق من تأثيره التخريبي ، وإنما يعكسان وضعية ثقافية لم تتم بعد إعادة بنائها، ثقافة يتزامن فيها الأصيل والوافد والقديم والحديد دون تفعيل لآليات الضبط والتوجيه للأطر النفسية والزمنية لحركة انتقال الأفكار بين المجتمعات .

ولا يمكن تفعيل هذا العنصر الفكري إلا إذا كانت هذه الأفكار تملك الحصانة الكافية وذلك من خلال إمكانات تمكنها من الصمود والتواصل ، كما أن طرح فعالية الأفكار في إطار الوقوف أمام التحديات يحيلنا إلي طبيعة الخيار الجذري الذي يشكل صياغة المرحلة المعاصرة في واقعنا الغربي الإسلامي من خلال القيم والمفاهيم الإسلامية التي تمثل الخصوصية الحضارية للشخصية المسلمة عبر مسارها التاريخي .

والفكرة لكي تكون ذات فعالية يجب أن تعبر عن ذاتية المجتمع وحضارته، وأن تكون هي العنصر المهيمن علي هوية المتتمين إلي هذه الحضارة ، وفي الوقت ذاته تكون الأداة التي تستطيع من خلالها الحضارة مواجهة كافة التحديات ، ودفع حركتها في طريق صاعد نحو أكبر قدر من الإنجاز وال عمران .

وفي ظل مناخ الغوائل الكونية والحضارية وتجدد سبل الهيمنة العالمية من خلال حلل جديدة ترتدي مسوح الحوار الحضاري وتلاقى الثقافات وإنسانيتها ، وما يترتب علي ذلك من الرغبة في إحلال ونشر أفكار جديدة تمت صياغتها في دوائر صنع القرار الغربية من أجل الترويج لها ، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، وبصفة أخص مع العالم الإسلامي وميراثه الحضاري والثقافي .

ولا شك أن تداول الأفكار وحوار الثقافات والحضارات ، سنة اجتماعية من سنن الله تعالي في الأنفس والأفاق التي لا تتخلف ولا تبدل وكل ذلك يقع ضمن دائرة الصراع الحضاري، الذي يندفع من عقائد وأنساق معرفية ورؤي قيمية وأنماط حياتيه

وسلوكية تمتاز بخصوصيتها وتسعي للبرهنة علي أحقيتها وإثبات وجودها يقول تعالى :
" ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ماءاتكم " (المائدة ٤٨، ٨١) .

ومن خصائص الفعل الحضاري أنه لا ينحصر في إطار اجتماعي وجغرافي محدد ولكن يتفاعل مع غيره ويتبادل العناصر والمؤثرات ويكون مدي انتشار هذا التفاعل تابعا لقوة نافذة ولاستعداد غيره لتقبله من جهة أخرى وهذا التفاعل الانتشاري **infusionism** هو ميزة من أهم ميزات العناصر الحضارية ، وقد أولاه علماء الاجتماع وفلاسفة التاريخ والحضارة أهمية كبيرة وأكدوا علي خاصية التواصل والتأثير والصيرورة في حركة الحضارات ، وهذا يعني أن الكيانات الحضارية ليست وحدات مقفلة وإلا اعتراها التكلس ومن ثم الاندثار، ومن ثم يصبح التفاعل حقيقة مؤكدة تبرزها الدراسات المقارنة للحضارات ، ويؤدي هذا التفاعل إلي التمازج والتلافح في ميدان الأفكار والثقافات ، إلي نتائج وتداعيات شكلت علي مدار التاريخ الإنساني مفاصل رئيسية وفاعلة لا تستعصي علي الإدراك والتحليل .

وفي إطار المنهجية الواجب اتباعها في هذا الصدد ، يتعين التفرقة بين جانبين يشكلان معا جوهر الحراك الفكري ومن ثم تداعياته وتأثيراته من مجتمع إلي آخر ، ومن ثقافة إلي أخرى :

الأول : التفاعل الإيجابي الناجز الذي ينطلق في تعامله مع الثقافات الأخرى من خلال مرتكزات تشكل حقيقة الهوية والمرجعية العقدية ، وهذا المنهج يعني التعبير عن الخصوصية والذاتية لكل مجتمع والتي تميزه عما عداه ومن ثم يفرض هذا الجانب الشق الثاني .

الثاني : الاستلاب الفكري والانصهار الثقافي والذي يعني الترويج لثقافة مغايرة في إطار من الإحساس بالدونية في الوقت الذي يغيب فيه هذه المنهج ثقافة الذات والفكر المعبر عن هوية المتلقي وهذا الخيار يمثل التيار التغريبي في ساحة الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر ، وفي ميادين الاجتماع والسياسة والتاريخ وغيرها .

هذا المنهج الاستلابي، الذي تبناه التيار التغريبي بمختلف فصائله، تجاهل أهمية التفريق بين شرعية وإمكانية التلاقي والتفاعل بين الأفكار والثقافات ، وأن العلاقة بين

الحضارات لها من الأبعاد الإنسانية ما يدفع إلى هذه الإمكانية. في المقابل استلبت توجهات فصائل متعددة لصالح الآخر عبر منهجية خاضعة ومروجة لوهم واحدة عالم الأفكار ورفض الخصوصيات وبهذا التناول تضعنا في قلب القضية التي نسعي إلى بلورتها والمتعلقة بالحراك الفكري بين المجتمعات والثقافات أو ما نطلق عليه انتقال الأفكار عبر تاريخ الحضارات من حيث الضوابط والشروط حيث تبرز هذه القضية تساؤلاً جوهرياً مؤداه : هل هذا الانتقال والتفاعل أو التثاقف مشروط أم مطلق ، محدد أم نسيي وهل من حق دعاه التغريب إقصاء العقل العربي الإسلامي عن خصوصيته وثقافته ؟ وفي المقابل هل من حق دعاه الرفض والانغلاق من المثقفين العرب والمسلمين إغلاق مسارات التفاعل والحوار مع الآخر بدعوي الحفاظ علي الهوية ؟

يترتب علي ذلك أن هذه القضية تثير مجموعة من المحاور نحاول الإجابة عليها وطرحها وفق منهجية تستحضر الذاتية والخصوصية ولا تغفل التحديات المثارة علي مختلف الأصعدة .

أولاً : حقيقة الموقف الغربي في نظرتة للآخر ، ويتم ذلك عن طريق تحليل الوجه الآخر للحضارة الغربية من حيث المركزية والعنصرية وتهميش وإقصاء الحضارات والثقافات الأخرى ، والغرب هنا يمثل المرجعية الفكرية والحضارية لفصائل التغريب في العالم الإسلامي .

ثانياً : منهجية التغريب في تعامله الاستلابي مع الغرب ، ثم تخليه عن ذاتيته وثقافته وخصوصية التاريخية والحضارية .

ثالثاً : تجربة الحضارة الإسلامية في التاريخ وخاصة فيما يتعلق بالمنهجية التي التزمها العقل المسلم في تعامله مع الثقافات والمجتمعات التي فتحتها المسلمون ، ثم الحديث في هذا الإطار عن الموقف الإسلامي من الحوار مع الحوار الآخر وضرورة التفاعل ورفض التفوق والانغلاق .

رابعاً : الحديث عن حقيقة الذاتية الحضارية والخصوصية الثقافية ، كمطلب يوفر الحصانة اللازمة للأفكار أمام التذويب والانصهار ، مع التأكيد علي أن هذه الذاتية هي السبيل

الوحيد لمواجهة عواصف المرحلة وحماية ثغور الأمة أمام كافة أشكال الهيمنة والاختراق .
خامساً : ضوابط ومرتكزات منهجية حول آليات انتقال الأفكار .

١ - حقيقة الغرب كمرجعية للخطاب الاستلابي:-

وحضارة الغرب حين ننظر إليها من خلال معادليتي التقدم والإخفاق ، أو النهوض والتأزم ، فإن إدراك منحنى المسار الغربي من كلا الوجهين ضرورة ملحة للمسلم المعاصر في أزمتة الحضارية والفكرية وذلك إذا ما أردنا تفهم المشكلات فهماً واقعياً ، وأن نقوم خطواتنا نحو الخروج من عثرتنا والتعرف علي أسباب الفشل المستمر لتجارب النهضة ومشروعات التحديث في واقعنا .

وقد قام الفكر الأوربي - وامتداده الأمريكي - علي مفهوم اختزال الحضارة البشرية كلها في إطار التاريخ الأوربي ، فالحضارة ولدت علي يد الإغريق وانتشرت بفضل الرومان وانتكست في العصور الوسطي ، ثم بدأت منذ عصر النهضة في الترويج والتطور وفق آلية متسارعة وناجزة يدركها الجميع .

فالفرد الأوربي يحمل جراثيم هذا الكبرياء دائماً لأنه يتلقاها من المناخ الاستعماري الذي يتكون فيه منذ الطفولة ويتكون من تصوره للعالم وللإنسانية ، فهو يعتقد علي الخصوص أن التاريخ والحضارة يتدنان من أثينا وبيمران علي روما ، ثم يختفيان فجأة من الوجود لمدة ألف سنة ، ثم يظهران من جديد بباريس في حركة النهضة ، أما قبل أثينا فلا شيء يذكر في ذهن هذا الفرد المشحون بالكبرياء الذي لا يري بين أرسطو وديكارت إلا الفراغ ، وهذه النظرة الخاصة للغربيين هي التي تشوه منذ اللحظة فلسفة الإنسان عندهم ، وتشوه بالتالي السياسة الغربية في العالم .

وشبنجلر spengler يرفض الرأي القائل بحضارة إنسانية واحدة تسير في خط مستقيم ينقسم إلي عهود قديمة ومتوسطة وحديثة ، أو ما يشبه ذلك من أنواع الانقسام ويعتبر هذا الرأي صادراً عن العقلية الأوربية الغربية المحددة ضمن أفقها المعين ، والمعجبة بمنجزاتها والتي تحصر الحضارة بذاتها وتتصرف عن الحضارات الأخرى وتنظر إلي تطورها وكأنه تطور الإنسانية بكاملها إلي عهود كأنها أواخر مراحل التقدم أو خاتماتها .

أما " توينبي " toynbee فقد استبعد وانتقد عده أحكام كانت تستقر في فكر مؤرخي الغرب : فالقول بوحدة الحضارات من أجل أن تعد الحضارة الغربية أعظمها قيمة ، ليس إلا وهما راجعا إلى سيادة الحضارة الغربية الحديثة في المجالين الاقتصادي والسياسي ، وهي أنانية تمثل ادعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار ، أو قدامي اليونانيين أن غيرهم من الأمم برابرة ، فتقييم مؤرخي الحضارة الأوربية علي أنها أسمى الحضارات تقييم خاطيء .

فمبدأ الغلو الذي صبغ نظرة الغرب لذاته تعزي إلي مركب نفسي يسيطر علي الشخصية الغربية ، وفي هذا الصدد يري " جارودي " أن الاعتقاد المقدس بتفوق الغرب علمياً وتقنياً علي كل أنماط الحياة الأخرى الموسومة بارتباط تأخيري بالتقاليد وبالتعصب الشيولوجي والمعارضة أولاً لكل " الحضارة " ، والتقدم الذي يعتبر معياره الوحيد السلطة المهجنة علي الطبيعة وعلي البشر .

والحديث عن واحدة الغرب المدعاة ومركزية الذات الغربية تبرز حقيقة العلاقة الشديدة التشابك والمتزايدة التعقيد بين البنى الاقتصادية والثقافية والسياسية في هذا العصر التي تجعل اجتياح الغرب الثقافي هي الشرط الأساسي لتدمير الهوية الحضارية واستلاب الإنسان المسلم لصالح السيطرة الغربية .

وقد ارتبطت الثقافة الغربية بالهيمنة والتسلط والعنف وأصبحت تثير ردود أفعال معادية في أكثر مناطق العالم غير الغربي، ولعل هذا مما زاد في صعوبة الربط بين الثقافات المهيمشة ، مصدر المقاومة والمعارضة منذ الآن ، والحضارة الحديثة وجعل الحوار مستحيلاً بين الشعوب الشمالية والجنوبية .

والخطاب الاستشراقي في مجمله، ومن سار علي منواله من المثقفين العرب يشيد بواقعيته وعملية المنهج الأرسطي في التعامل مع الكون والطبيعة وبشهادة مؤرخ غربي لتاريخ العلوم عند اليونان يري " أن فكرة استغلال الطبيعة بشكل أكثر فائدة لصالح الإنسانية فكرة ميتة بالنسبة لأرسطو ، كما أن فشل أرسطو في أن يتصور اطراد التقدم الحاسم في الطرق الفنية إنما هو انعكاس للفشل العام لمجتمع ذلك العصر فلم يكن جمود

العلم الإغريقي سوي وجه واحد من أوجه جهود المجتمع الإغريقي .
تبين هذه الفقرات مدي التزييف الفكري الذي توارثه العقل الغربي في موقفه من
المنهج العلمي ومحاولة نسبه إلي العقل اليوناني لترسيخ القناعة بإقصاء الدور الإسلامي في
تأسيس العلم التجريبي الذي تأسست عليه نهضة الغرب العملية وذلك باعتراف العديد من
رموز الفلسفة والفكر في الغرب .

وقد ترتب علي الترويج لواحدية الغرب ومركزية تلازم صفات الاستعلاء
والاحتقار للشعوب الأخرى ونعت الإسلام بصفات تنم عن حجم هذا المنحي من
الكراهية والاستعلاء لدي النفسية الغربية باتجاه المسلمين، ولا أدل علي ذلك من
تصريحات وكتابات العديد من قادة الغرب وبعض رجال الدين المسيحي واليهودي
وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة .

لقد ورث الغرب هذه النظرة الدونية عن اليونان ، فقد كانت أثينا الديمقراطية مع
منتصف القرن الرابع (ق.م) أكبر دولة مالكة للعبيد في شرق المتوسط ، وأفلاطون، وهو
أرسقراطي من أسرة اتهارت ثرواتها مع صعود الديمقراطية الأثينية، اتخذ موقفا انتفادياً من
الديمقراطية ونراه في الجمهورية يدفع بأن الرجال الذين أرغمتهم ظروفهم الاقتصادية علي
الانخراط في العمل الإنتاجي يجب ألا نسمح لهم بأن يتولوا الحكم ولا حتي أن يخطوا
بالمواطنة .

وقد وصل الأمر برجال الدين إلي إصدارهم تبريراً لاهوتياً بتجارة العبيد غير
الأوربيين واستطاعوا أن يضعوا أساساً لتطبيق فكرة " أرسطو " عن العبودية الطبيعية
لتنطبق علي الهنود الأمريكيين وهي حجة سيسوقونها مراراً علي مدي الخمسين سنة
القادمة .

وعند هيجل نري أن عالم الحرية لا يبدأ إلا في اليونان حيث تشرق حرية وعي
الذات، ففي الغرب تنزل الروح في ذاتها أما في الشرق فيمنحي الفرد باعتباره مجرد
انعكاس للماهية ولا توجد فلسفة بالمعني الحقيقي إلا في الغرب كما لا توجد دساتير حرة
إلا هناك ، والجدلية الفكرية عنده لا تتجاوز حدود الغرب ، وكل فكر خارج هذه

الحدود موسوم بالظلامية والاستبداد وانعدام الحرية والتاريخ ، وحتى يتخلص هيجل من الشرق ينتهي إلى التعميم التالي " الفكر هنا (أي الشرق) غيبي تماما وما هول بلا تقدم ولا تطور ، وهو علي حالة كما كان في السابق منذ آلاف السنين .

وضمن هذا المنظور العام ستغدو كل المسوغات العقلانية ناجزة لشحن الحملات والحروب علي هذه الأمم الموسومة بـ " غير المتحضرة " وقد أصبحت لا حقا ، حقا قانونيا ومطلبا حيويا للدولة — الأمة الغربية .

ولا شك أن الحضارة حين تتخذ الفكر والفلسفة وسيلة للتعصب الجنسي والعنصري والطبقي فهي حضارة تفتقد للإنسانية، ومن ثم تصبح سياسة البقاء للأقوي مرهونة بإلغاء الآخر وبذلك تصبح الطبيعة العدوانية من أخص خصائصها .

لقد تحول التقنين ووضع القواعد المنهجية الخاصة بالخطاب العنصري إلى إيدوبولوجيا فكرية كانت بمثابة التمهيد لظهور النازية والفاشية ، وامتدادها في منطقة الشرق الأوسط كالنظام العنصري في جنوب أفريقيا والصهيونية العالمية .

إن في الحملة الفرنسية عناصر شتي أهمها ميراث فلسفة التنوير في المعرفة والتقنين للعنصرين والتمييز العنصري ولأنهم يصنفون أنفسهم أصحاب التميز الحضاري ، فقد اعتبروا أن من حقهم بل من واجبهم السيطرة علي البشرية كلها.

وما التاريخ منذ قرن من الزمان إلا ملحمة للفكر الاستعماري، فالطفل الذي يولد في أوروبا يشعر في استقباله الحياة كأنها سبقت تهيئة للاستعمار ، فإذا ما أخطأ وجهته لم يعرف ذلك عن تغذية ذهنه بأفكاره كما يتغذي هو من خبرات المستعمرات .

٢ - الخطاب الاستلابي في نقل أفكار الغرب :

لقد تواكب الاتجاه التغريبي الغربي — بمختلف فصائله ، مع المرحلة الاستعمارية ، حيث تمكن الاستعمار الغربي — بكافة الأساليب والطرق — من فرض ثقافته وأفكاره علي الشعوب المستعمرة .

وأول الوسائل التي يستخدمها الاستعمار من أجل ترسيخ التبعية الفكرية إن يستعين بخريطة نفسية للعالم الإسلامي وهي خريطة تجري عليها التعديلات اللازمة كل

يوم ، يقوم بها رجال متخصصون ، مكلفون برصد الأفكار ، أن يرسم خططه الحربية ويعطي توجيهاته العملية علي ضوء معرفة دقيقة لنفسية البلاد المستعمرة ، معرفة تسوغ له تحديد العمل المناسب لمواجهة الوعي في تلك البلاد حسب مختلف مستوياته وطبقاته .

وقد أفسحت الإدارة الاستعمارية مجال الحرية الفكرية واسعاً وخاصة حرية التغريب التي وقفت وراءها وشجعتها وصمت دعائها من ردود الفعل الشعبية والتي تجلت خاصة في حملة " التغريبيين " علي القواعد الإسلامية ، والمعطيات الدينية ، وليس بقصد إصلاحها ، وإنما يقصد نبذها من أجل أن تحل الثقافة الغربية محلها .

ومن الممكن رد جميع النظريات والإيديولوجيا العربية إلي موقفين ، ينطلق الأول من الإيمان بعالمية الحضارة ، وخطية التاريخ ، ويرى أن تأخر العرب كامن في تمسكهم بثقافتهم والقيم النابعة منها، وينطلق الثاني من الإيمان بأن الحضارة الراهنة هي حضارة غربية محضة وأن تعميمها أو سيطرتها لا تحمل في ذاتها غلا المصادره تاريخ الشعوب الأخرى وقتل ثقافتها وإزالتها من الوجود

وبدلاً من التصدي لمشكلات الأمة العربية والإسلامية من خلال الثوابت العقديّة والحضارية لمجتمعاتنا عبر تاريخنا وثقافتنا الإسلامية نجد أن الفكر المتغرب يتجه بكليته ويخضع وفق استلاية واضحة للوافد الفكري والحضاري القادم من الغرب .

وكشف هذه الأفكار عن انبهار لا حد له بالغرب، يقابله إهمال أو نقص الإطلاع علي الإسلام والتراث والتاريخ والإسلاميين، فالانبهار سلب هذه الخطابات قدرة النقد وقلة الإطلاع وأوصلها إلي الرفض والعداء أحياناً إلي الدين.

والراصد لحركة التنامي الفكري في واقعنا العربي والإسلامي يمكن أن يرصد أحد الظواهر الجديدة بالبحث والتحليل ، ظاهرة تبرز بوضوح أزمة التيار التغريبي العلماني العربي في ترويجه للمشروع الغربي ، وأن هناك فئة من المفكرين الذين خيروا ثقافة الغرب وساهموا في الترويج لها بالإضافة إلي معرفتهم الوثيقة بالحضارة الإسلامية ، هؤلاء يمثلون حركة يمكن إن يطلق عليها " حركة التراجع الفكري " نحو المنابع والجذور الحقيقية لأصالتنا الحضارية حيث اكتشفوا حقيقة الثقافة الغربية وأدركوا فداحة الثمن الذي تدفعه

الأجيال نتيجة لحالة الاستلاب الفكري والحضاري التي يروج لها البعض .

ويعزز هذا الرأي باحث آخر حيث يرى أن الواقع الثقافي قد تخلقت فيه ظاهرة هامة وذات دلالة ملفتة للأنظار ، ألا وهي تراجع عدد كبير من الأعلام الذين تغربوا عن التبشير بالنموذج الحضاري الغربي ، بعد أن سلكوا هذا السبيل ، كاجتهاد خاطيء وانخراطهم ، في مرحلة نضجهم الفكري ، في تيار الأحياء والتجديد .

إذا كان الفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر ، قد انقسم ما بين مروج للمذهبية الغربية بدون قيد أو شرط ، وآخر رافض لنمط الحضارة الغربية بلا هوادة ، وبين اتجاهي القبول المطلق والرفض المطلق ، ظهر اتجاه ثالث يحاول أن يقف موقفاً وسطياً بين هذا وذاك ، فقدم خطاباً فكرياً وسياسياً يسعى للتمسك بثقافته وخصوصيته الإسلامية، في الوقت الذي لا يصادر أو يتصادم مع الوافد الغربي ، ويطلق علي هذا الاتجاه " التوفيقي syncretism . وقد اختلفت درجات التوفيق ، بين ما هو إسلامي وغربي ، بين الدمج والتكيف والمواءمة ، إلى الانزلاق المنهجي في إطار الخيار الاستلابي أمام ثقافة الغرب ، وعدم الاستيعاب الواعي لمرتكزات وأسس الفكر الإسلامي .

والحقيقة أنه في إطار تحليل الاتجاه التوفيقي من حيث نتائجه علي مسار الفكر والحياة السياسية في الواقع العربي ، فنري أن قوة التحدي الأوروبي الحضاري والسياسي أعظم من أن تصمد لها توفيقية محمد عبده ومعادلته التي حاولت بعد أزمان من التنافر والعداء الجمع بين الإسلام والغرب في صيغة تصالحية واحدة .

والبعض يري في " التوفيقية " وجهاً من وجه أزمة عدم الأصالة في المجتمعات العربية ذلك لأنها لا تفسر الواقع العربي والتاريخ العربي الحديث والمعاصر ، بجدلية مستمرة من تراثه وحضاراته وذاتيته ، فقد أخضع هذا التاريخ وذلك الواقع لتفسيرات كثيرة مقتبسة من خارج نطاق الحضاري لذا نري ردات فعل تدعو للدعوة إلى الذات الحضارية وفهمها من الداخل واستكشاف قوانينها وعلاقتها الأصيلة خصوصاً بعد إخفاق محاولات التحديث الخارجي وما ارتبط بها من تنظير فكري شديد التأثير بالتجارب الأجنبية .

والحقيقة أن المنهج التوفيقي في التعامل مع أفكار الغرب ، يؤكد عزلة الفكر

المطروح عن حركة الواقع التاريخي والحضاري للمجتمع وذلك لغياب الوعي باستحالة انفصال عناصر ومقومات التجربة الحضارية في الغرب عن بعضها بحيث أن كل منظومة حضارية تملك في داخل نمطها الخاص تماسكا لا غمك تفكيكه بحيث نأخذ ما نشاء ، ونترك ما نشاء في إطار ما يتماشى ويكيف مع حالة المجتمع الناقل لهذه الأفكار ، فإن في ذلك استحالة حضارية وتاريخية ومعرفية في وقت واحد ونحاول في الصفحات المقبلة رصد تجربة الحضارة الإسلامية في تفاعل العقل المسلم مع الثقافات التي وفدت إلى البيئة الإسلامية ، ثم الحديث عن الموقف الإسلامي من التفاعل الفكري والثقافي .

٣ - التجربة الإسلامية في التفاعل الفكر

لقد درج كثير من مؤرخي التراث الإسلامي - وخصوصاً من الغربيين ومن سار علي منوالهم علي اعتبار هذا التراث مجرد نقل لعلوم الأوائل ممن ترجمت أعمالهم ومؤلفاتهم إلى اللغة العربية ، حيث يعتبرون إبداع المسلمين في المجالات العملية المختلفة إن هو إلا ترديد أو نسخ لنظريات اليونان بينما الأمر ليس كذلك .

وقد جاء التحول الحضاري الضخم الذي نفذه المسلمون وتحققوا به وعبروا أحداث القرون ، جاء كثرة للعقلية التي صاغها الإسلام ومكنها بتحولاته الخطيرة تلك من أن تؤدي دورها الشامل في تكوين الحضارة الإسلامية ، حيث قام الدين الجديد بتشكيل عقل إسلامي فعال ، ومن خلال تحولات جذرية علي المستويات كافة ؛ العقديّة والمعرفية والمنهجية وكان كل ذلك بمثابة إرهاب لمولد طاقة حضارية مميزة أفرزت عطاءها المتواصل ، بعد أن نضج العقل المسلم في ظل مناخ تهيأت له كل شروط الفعالية.

ولم يسبق الإسلام في حقيقة الأمر ، دين من الأديان - وقف هذه الوقفة من العلم - والدعوة إليه ، والإشادة بفضله وبذلك انطلق المسلمون الأولون ونهلوا من جميع العلوم حتي فاقوا جميع الأمم، فلم يكونوا بمثابة المستودع الذي صبت فيه جميع العلوم والثقافات القديمة فقط ، وإنما درسها المسلمون بعناية وحافظوا عليها بأمانة ثم زادوا عليها وطوروها حسب التصورات الإسلامية من منابعها الصحيحة قرآناً وسنة وبما جادت به قرائحهم وعقولهم في إطار القيم العقديّة والإخلاقيّة التي احتواها المفهوم الإسلامي لقيم العلم .

وعندما استقرت الحضارة الإسلامية ، تلقي المسلمون العطاء الثقافي والفكري للحضارات البشرية من الهند والفرس واليونان ، عن طريق الترجمة فأخرجوا ما استقبلوه في صورة جديدة لها طابعها الخاص ، وميزاتها التي تتفق مع بيئتهم العقلية ومفاهيمهم الدينية فقاموا بالتجارب وطفرت العلوم علي أيديهم طفرات قوية .

فتجربتنا من التثاقف الحضاري معروفة ، فموقف الفكر الإسلامي من عمليات الهضم والتمثل ، وما يصطلح عليه في الأنثروبولوجيا الثقافة بـ " نظرية الاستمداد الثقافي " **Cultural Borrowing** أو عملية التثاقف **Acculturation**

معروف ، راسخ وثابت ومبسوط في تراثنا العلمي والمعرفي ، حتي غدا هذا الموقف السديد أحد أهم خصائصه إبان حركته وانطلاقته الأولى ، شكل ركنا متينا في بنيته الأساسية وتحول في وعيه التاريخي إلي قوة مورثة ، اصطلاح تيار المستشرقين علي تسميتها " بالقدرة الفطرية الموروثة للإسلام علي الهضم والتمثل الثقافي المتنوع

odsorption inherited power for cross cultural والتي جعلت الفكر الإسلامي يختص بميزة " الوحدة في التنوع ، والتنوع مع الوحدة " **unity Diversity** وعدوا هذه القوة المورثة قابلية كامنة واستعداد فطريا للفكر الإسلامي هيأت له بمقتضاها : إمكانيات الإبداع والتأصيل وإعادة بناء الأفكار يقول جولدزيهر: "إن الإسلام قد أكد استعداده وقدرته علي امتصاص الآراء وتمثيلها ، كما أكد قدرته علي صهر تلك " العناصر الأجنبية كلها في بوتقة واحدة فأصبحت لا تبدو علي حقيقتها إلا إذا حللت تحليلا دقيقا وببحث بحثا نقديا دقيقا .

ويقول برنارد لويس: " أن الحضارة الإسلامية ، رغم تنوع أصولها ، لم تكن مجرد جمع آلي للثقافات القديمة ، بل هي بالأخري خلق جديد ، انبعثت فيه هذه العناصر لتكون حضارة جديدة ، وذلك بأن انتقلت إلي صور عربية وإسلامية، وهذه العملية سمة مميزة لكل مرحلة من مراحل هذه الحضارة " .

إن كشافاً ما في الفلك أو الكيمياء أو الرياضيات أو الجغرافيا أو طلب أو النبات أو الحيوان .. إلي آخره ، لم يقدر صاحبه إلي المحاكمة أو رأسه إلي الجلال، مما شهدته

الساحة الأوروبية (جاليليو ، كبلر ، برونو) بل علي العكس ، كان الكشف في معظم الأحيان فرصة لتأكيد الإيمان لا لنفيه أو إدانته .

ولقد كان ميدان العلم ، من أهم الميادين التي حققت فيه الحضارة الإسلامية أكبر عطائها وكان وراء ذلك المناخ الثقافي والفكري الذي نشأ في إطاره الإنسان المسلم ، حيث كانت الدعوة إلي العلم والحكمة ، والأخذ بكل الأسباب التي تساعد المسيرة الحضارية علي الانطلاق .

وتجربة العقل المسلم في ميدان الانفتاح العلمي والثقافي مع الآخر تبرز بوضوح أن المسلمين لم يجدوا حرجاً في الاعتراف بفضل السابقين والمتقدمين عليهم ، بصرف النظر عن عقائدهم وأديانهم وأجناسهم وقومياتهم ، انطلاقاً من أن الحكمة ضالة المؤمن ، أتي وجدها فهو أحق الناس بها " ، كما في الحديث .

ومن ظواهر التعايش الفكري الخصب قيام حركة واسعة من المناظرات والجدل بين المسلمين وأهل الذمة من أصحاب الأديان المختلفة ، في عقائدهم والعقيدة الإسلامية ، وهذا المسلك يؤكد مدي الحرية التي تمتع بها هؤلاء في ظل الحضارة الإسلامية ، بل أنهم تمتعوا بحرية الدفاع عن عقائدهم ومذاهبهم .

والتساؤل الحيوي الذي يفرض نفسه علي تجربتي الانفتاح علي الآخر ، في تراثنا الحضاري وواقعنا المعاصر ، هو ما حقيقة الفارق بين الموقفين من حيث توفر الإدارة الحضارية والذي يلفت الانتباه حول هذه الموقف ، أن حركة الترجمة والتفاعل مع الثقافات المختلفة لم تقتحم البيئة الإسلامية ، ولم تأتي عبر أشكال من الغزو الفكري فرضت نفسها علي البيئة الإسلامية ، وعلي العقل المسلم ، وإنما جاءت بقرار من الخليفة المسلم ، وهذا يعني توفر القرار السيادي النابع من إرادة الأمة من خلال حاكمها المسلم ، ومن خلال التوجيهات الإسلامية ، والتي لم تقف حائلاً دون التفاعل والانفتاح علي الآخر ، لأن هذا المنهج يمثل ركناً أصيلاً في طبيعة الذهنية المسلمة التي تسعى إلي طلب الحكمة والتنوع المعرفي ، وهذا يعني أن الفعل الحضاري في الخطاب الإسلامي لا يعتمد علي إقصاء الآخر وتمييزه ، بل الاستفادة منه والتعامل معه وفق خصوصية عقدية

ومعرفية توازن بين الأخذ والعطاء وتزن هذا المنهج بثواب الأمة العقديّة وتدرّك ما يتصادم أو يتنافى مع هذه الثوابت ، بهذا الفهم الواعي لقضية انتقال الأفكار .

هذا الموقف يتنافى بوضوح مع منهجية الاستلاب الفكري والثقافي التي سيطرت علي رموز التغريب في واقعنا المعاصر في عالمنا الإسلامي ، عبر حقبة الغزو الثقافي وعبر سياسة الإلحاق بالنمط الغربي والترويج له أثناء المرحلة الاستعمارية المباشرة وما بعدها ، وكان غياب الإرادة والموقف الحر النابع من خصوصية الأمة العقديّة والمعرفية هو العامل الرئيس في ظهور هذا الرّخم من رموز الهزيمة الحضارية أمام الآخر ، والذي مثله مجموعة من المثقفين والمفكرين الذين استشعروا الدونية أمام محاولات الهيمنة والاختراق الغربي ، في ظل غياب كيان حضاري وسياسي يمثل هوية الأمة ، مما كان له الأثر السلبي في ظهور هذه الفصائل التي لم تصمد أما تحديات المرحلة ، عندما لم تدرّك ضرورة استحضار الذات في مواجهة حالة التأزم التي تحياها المجتمعات الإسلامية ، وكان هذا الموقف من أسباب فشل مشروعات النهضة التي تبناها هؤلاء حين تجاهلوا حقيقة الأزمة الفكرية في مجتمع تخلي عن مرجعيته الحضارية عندما واجه التحديات التي تحاول القذف به خارج الكيانات المعاصرة ، بل وخارج التاريخ الإنساني .

إذا كانت الفقرات السابقة تمثل حقيقة الموقف العملي الذي التزمه العقل المسلم في الانفتاح علي الوافد الثقافي ، فما هي أهم المرتكزات والأسس التي وضعها الإسلام في نظرته للآخر .

يكاد يتفق علماء التشريع في الغرب علي أن مبادئ القانون الدولي العام ، مبادئ حديثة العهد ، ابتدعتها أوربا في العصر الأخير ، وهو قول صحيح ما دمنا نبعد بموضعه عن محيط تاريخ الحضارة الإسلامية ، فقد لبث الرسول صلي الله عليه وسلم زهاء عشر سنين في اتصال دائم بأمم وديانات مختلفة ، معادية للإسلام طوراً ومسلمة طوراً أخرى بالإضافة إلي حدوث حروب الردة والبغاة والخوارج والفتوحات الإسلامية في فارس والعراق والشام ومصر وشمال أفريقيا ، ومما اقتضته الظروف التي واكبت نشر الدعوة الإسلامية ، كل ذلك كان أثر كبير في تحديد الكثير من معالم الرؤية الإسلامية للتعامل مع الغير .

ومن الأسس التي واكبت نشر المبادئ الإسلامية ، أن الإسلام أثناء انتشاره وفتوحاته ، قد اقتلع من قلوب المسلمين والدعاة إليه ، جذورا الحقد الديني ، بالنسبة لاتباع الديانات الأخرى ، وأقر بتعايش الأديان جنبا إلى جنب في روح من التسامح والمحبة يقول تعالى : " يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم " (الحجرات / ١٣) .

وإذا كانت الدول والشعوب تدعو في الظاهر ، إلى ما يسمى بمبدأ التعايش السلمي ، فإن الإسلام لم يدع إلى هذا المبدأ فحسب ، بل إلى ما يفوق ذلك من التسامح والتعايش الودي الذي يتجاوز المسألة إلى المودة والمصاهرة والاشتراك في القربات واختلاط الماء ، وإيجاد إخوة عالمية حقيقية فيقول تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين) " الممتحنة / ٨ .

وبرزت حرية العقيدة في الإسلام في قوله تعالى : " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " (البقرة / ٢٥٦) ، وكانت الدعوة إلى الإسلام دعوة بالحجة والبرهان والرفق واللين : " أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ " النحل / ١٢٥ .

لقد جاءت معظم آيات القرآن المكية تؤكد الوحدة الإنسانية ، وتحطم الفوارق التمييزية ، قبل أن يكون للمسلمين أمة ، أو دولة أو حكومة ، أو موقعا جغرافيا ، وكانت الوحدة الإنسانية، من المقومات الأساسية التي نص عليها الوصي ، بل لقد كانت الغاية من الرسالة الإسلامية وإنتاجها الحضاري ، هو إلحاق الرحمة بالناس : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [الأنبياء / ١٠٦] .

فلم تكن الدعوة الإسلامية ، دعوة عربية بالمعني السلالي لهذه العبارة ، وإنما هي مهمة عالمية حضارية تتجه لجذب كل مقومات الوجود الحضاري العالمي التقليدي ، وقد اندمج العرب بألسنتهم في هذه الأمم الحضارية ، فأصبحوا منها وأصبحت منهم ، فاستوت الدعوة الإسلامية علي قاعدة حضارية عريضة ، هي خلاصة الحضارة الإنسانية بكل مقوماتها المادية ، وكان جوهر هذه القاعدة أنها قد حفظت في إطارها الجغرافي

السياق التاريخي للبشرية من آدام ، إلى محمد ، وحفلت بكل ما حملته تجارب الإنسان الحضارية واحتفظت بكل نتائج الحضارة الإنسانية .

إذا كان العقل المسلم لا يرفض معطيات غيره ، كما اثبت ذلك الواقع الحضاري للإسلام ، فكان في الوقت نفسه لم يكن يتقبلها بالكلية ، فكان يملك في تركيبة الخاص - ومن خلال منظوره العقدي - المقاييس الدقيقة والموازن العادلة التي يمرر من خلالها تلك المعطيات ، فيعرف جيداً ما يأخذه ويعرف ما يدعه ، فكل الحضارات ، وكل تراث الشعوب الجماعات التي عاشت في المنطقة كانت جميعاً بمثابة حقول مفتوحة جال في أطرافها العقل الإسلامي ، فأخذ ورفض ، وانتقي وفحص ، واختير وعزل واستبعد ، وعرف كيف يرفض هذا ويأخذ ذاك ، ولم يكن ذلك مجرد اقتباس ولكنه هضم وتمثيل ، وموقف حضاري متبصر ، ومردوده الإيجابي الفعال ليس علي مستوي الحضارة الإسلامية فحسب ، ولكن عبر نطاق الحضارات جميعاً .

وبعد هذا العرض للموقف الإسلامي حول حقيقة العلاقة مع الآخر ، وبعد أن أبرزنا طبيعة المنهج الاستلابي في التعامل مع الغرب عبر فصائل التغريب الفكري ، وبعد أن بينا الموقف العملي الذي اعتمده العقل المسلم خلال تفاعله مع الثقافات الوافدة إلي البيئة الإسلامية ، هل يمكن الوقوف عند تاريخ التقاء الغرب بالإسلام من حيث المراحل ؟ وما طبيعة هذا الالتقاء وحقيقته وأهم نتائجه ؟

في هذا الصدد يقول " علي شريعتي " إن كل جهد الغرب كان مبدولاً لصنع الإيمان بالغرب وعدم الإيمان بالذات ، إنهم يريدون محو كل الحضارات ، حتي يفرضوا علي العالم أنماطهم التي صنعوها .

بهذه الروح العدوانية كان تاريخ الحضارة الغربية في لقاءها مع الحضارة الإسلامية ، فتشويه الحقيقة الإسلامية نبع في الواقع من متغيرات نفسية عديدة ، من أهمها إدراك الغرب لخطورة العقيدة الإسلامية ، وقد لعبت التجربة الحضارية الإسلامية دوراً كبيراً في هذا الصدد ، كذلك التشكيك المستمر في إمكانيات الدين الإسلامي ، بقصد خلق القناعة بعدم صلاحية الإسلام كأساس للحياة المدنية .

لم ينقطع اللقاء الإسلام والغرب طوال التاريخ الإسلامي ، ولكن صور هذا اللقاء قد تنوعت ، فاتخذ في البداية مرحلة إيناع وازدهار الحضارة الإسلامية، وهي تعادل مرحلة العصور الوسطى الأوربية بكل ما تحمل من انتكاسة حضارية .

والمرحلة الثانية من اللقاء ، بدأت بسقوط الدولة الإسلامية في الأندلس، وهذه المرحلة هي التي امتدت إجمالاً من بداية القرن السادس حتى نهاية الحرب العالمية الثانية حيث ظهر العالم الإسلامي المستقل عن مرحلة الاستعمار الغربي ، وكان أساس الحوار في المرحلة الثانية هو ممارسة الهيمنة الاستعمارية في جميع أنحاء العالم الإسلامي .

والمرحلة الثالثة ظهرت بعد استقلال الدول العربية والإسلامية ، حيث بدأت تتضح فيها معالم التميز داخل الغرب بين أوروبا والولايات المتحدة التي حلت محل أوروبا الاستعمارية ، ثم تحالفت مع أوروبا الحديثة في مواجهة المسلمين .

ولا يمكن إغفال الدور التخريجي الذي تقوم به الدوائر الصهيونية لوأد كافة المحاولات التي يمكن أن تثمر تفاعلاً ناجزاً ولقاءً مثمرًا بين الإسلام والغرب ، وهذه حقيقة ليست في حاجة إلى كثير من الشرح والبيان ، هذا بالإضافة إلى الدور التخريجي في الإطار الفكري والمعرفي الذي قامت به دوائر الاستشراق حول تشويه الحقائق الإسلامية وتاريخنا وثقافتنا وحضارتنا ، وصولاً إلى صدام الحضارات ونهاية التاريخ .

وبخصوص المرحلة الحديثة فيما يتعلق بآلية التلاقح الفكري بين الإسلام والغرب ، فإن بعض الباحثين قد أولاهما اهتماماً من حيث الرصد حيث تشكل المرحلة الحديثة أهمية كبيرة في هذا الجانب ؛ فيمكن تقسيم حركة التعامل مع الفكر الغربي في واقعنا المعاصر إلى ثلاث مراحل : -

المرحلة الأولى: مرحلة الصدمة الأولى : والانبهار المباشر والاستدلاب ومن صورها الثقافية الاستعمارية للغزو بصوره : البعثات، تغريب المؤسسات، الفكر التابع، الشكوك حول الإسلام.

المرحلة الثانية : تجاوز مرحلة الانبهار إلى مرحلة المقارنة واللقاء بين الثقافتين الإسلامية والغربية .

المرحلة الثالثة : وهي المتعلقة بالصحة الإسلامية المعاصرة .

وبعد عرض هذه المفاصل الرئيسية فيما يتعلق بتطور انتقال الأفكار بين الإسلام والغرب ، نجد أن التساؤل الجوهري الذي يفرض نفسه في هذا الصدد ، يمكن صياغته علي النحو التالي : هل يحق لكل من يتصدي لعالم الأفكار أن يردد ويروج - خلال عملية التفاعل مع الآخر - لأفكار تتصادم مع خصوصيته الحضارية ؟ وهل يعني الانفتاح علي الآخر في إطار عالم الأفكار ، غياب الضوابط والشروط اللازمة ، لكي يؤدي هذا الانفتاح ثماره ونتائجه المرجوة ؟ هل المسألة هنا مشروطة أم العكس ؟ وغير ذلك من نقاط تتعلق بآلية الانتقال الفكري بين ثقافة وأخري .

٤ - آلية الانتقال : الضوابط والشروط

إذا كان التاريخ لأي مجتمع يمتد ولا ينقطع ، يتواصل ولا ينفصل ، ومن منطلق أن الأفكار التي تسهم في بناء الكيان الحضاري - إيجاباً وسلباً - قد تظل ذات تأثير واضح علي بنية ومسار جهد حضاري .

لقد أخفق الإنسان العربي في إيجاد الموازنة المطلوبة بين طموحاته وواقعة الفعلي ، لم ينجح أيضاً في تحديد دائرة التعامل والتبادل الممكنة والثابتة مع الغرب حتي يتصالح مع نفسه ، متمرداً علي هيمنة الغرب في التاريخ ، أصبح العربي متمرداً علي التاريخ في الغرب والعالم ، وهكذا بين الخضوع ، والاحتجاج الشامل ، مازال يعيش بين تجريح الذات وتعظيمها ، وإنكارا الآخر وتقديسه ، لا قدرة له علي رفض ولا رغبة في تمثله ، هكذا وضع العربي أمام إحراج مأساوي لا مخرج منه ؛ فإما الحفاظ علي الذات مع التخلي عن الحضارة والتاريخية والفاعلية ، أو الانخراط في الحضارة والدخول في العالمية والتاريخ مع التخلي عن الذات .

إن محور الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي الحديث ، أنه مفتقد ذاتيته الثقافية وموروثه الفكري ، الذي حددته قيم عقدية وأخلاقية شكلت الأسس الفكرية لحضارة الإسلام ، وإذا كان الإنسان المسلم هو السند المحسوس لحضارته ، فإنه قد تخلي عن الموقنات والأسس التي صنعت حضارته ، هذا التخلي يعد صورة من صورة الأزمة التي تعيشها الأمة في واقعنا المعاصر .

ولذلك فإن مبدأ الذاتية ينبع من رفض الاندماج في الآخر ، ورفض التنكر للذات لما ينطوي عليه هذا ، من استلاب وغياب للوعي الذاتي ، وليس من مبرر التضحية بهذا المبدأ لأن الذاتية فهمت كدفاع عن ماهية جامدة من قبل فئة من المجتمع ، حاملة بالضرورة للسيطرة الخارجية ، وإنها لا تتحقق إلا كتشريد ثقافي وتحليل للنبي الإنسانية والروحية ، ولذلك لا يمكن أن يكون تاريخها إلا تاريخ الإجهاض ، إنها بالضرورة حادثة مجهضة .

لم يكن انتماء العربي المتغرب إلى ثقافة الغرب وتنبيها ، سوى حركة داخلية أقل ما يقال عنها استلاب مأساوي ، احتقار للذات وإغائها كمقدمة لنيل شرف التقليد ، وإذا لا يتعايش ظاهر " الغرب " وباطن " الإسلام " الأمر الذي يفسر اللجوء الدائم إلى التطرف عندما يستعرض المتغرب ذاته فهو يعمد إلى وضع ثقافة جماعته في أحقر مرتبة ، ويرفع الثقافة التي يسعى للتمثيل بها إلى أسمى مرتبة .

ومن ناحية أخرى لا تستقر هذه الحركة الداخلية إلا على قاعدة حسم لا وسطية فيها ، يجب أن تبدأ بكره الذات ، وصولاً إلى حب الآخر ، أي قبول الغرب وثقافته ، ويشترط ذلك المنهج بالضرورة إدانة قيم الإسلام ، ويصبح التفاعل غير مستوعب ولا مقبول في تقنية الانتقال ، وفي منطق التغريب ، وعندما يقرر المسلم إدانة ذاته كمقدمة لتغربه يكشف رغم ندرة النموذج ، حقيقة الثمن الذي ينبغي عليه دفعة .

والنهضة الثقافية والفكرية ليست مرتبطة بمماثلة أو مشاكله الغرب ، ولا تعني التوصل إلى تحقيق نفس الوظائف الاجتماعية أو الثقافة ، بل نحن نعتقد أن هذه المماثلة هي السبب في إخفاق العقل العربي الحديث وفشل النهضة الثقافية ، وذلك لعدم إدراك خصوصيات مجتمعاتها ففقدت بالتالي قدراتها الإبداعية ومبرر وجودها .

وهذا يعني أن حصانة الأفكار تكمن فيما تحمله من إمكانات تمكنها من الصمود والتواصل ، كما أن طرح فعالية الأفكار ، يحيلنا إلى طبيعة الخيار الجذري الذي يشكل صياغة المرحلة المعاصرة في واقعنا العربي الإسلامي من خلال القيم والمفاهيم الإسلامية ، التي تمثل الخصوصية الحضارية للشخصية المسلمة عبر مسارها التاريخي ، والأسلوب

الاستعماري عن طريق الغزو الفكري ، يسعى به الغرب إلى تحقيق أهدافه التوسعية ، بغزو ثقافات الشعوب ، وإضعاف خصوصيتها، والتشكيك في تراثها ، وبذلك يتم إقصاؤها بشتي الوسائل عن التفاعل الحضاري من خلال ذاتيتها الحضارية المغيرة للنمط الحضاري الغربي .

وتجديد الكيان الإسلامي وبناء الذات الحضارية ، لايمكن في غياب فهم حقيقة الذات وإدراك الجذور التي أسست الفعل الحضاري الناجز في إطار التاريخ، وبذلك نستطيع مواجهة كافة صور الاستلاب الفكري والعقدي ومن ثم الحضاري التي تكاد تقذف بنا خارج الدائرة المعاصرة .

ولأن كل تخطيط حضاري لابد وأن يستند إلى محيطه الثقافي ورصيده التاريخي فإن التنمية لا تشتري من الخارج بعملة أجنبية غير موجودة في خزينتنا ، لأن هناك قيماً أخلاقية ، واجتماعية لا تستورد ، وعلي المجتمع الذي يحتاجها أن يلدّها ، وأن مخططاً ما يجب ألا تكون له هوامش بعضها من ألعاب الرأسمالية وبعضها الآخر من ألعاب الماركسية " .

ثم ماذا يقول العلمانيون عن تجربتهم مع الدول العربية الحديثة من بعد الاستقلال والسيادة الوطنية ، وماذا عن منجزاتهم ، لنأخذ من يقيم هذه التجربة من داخلها ، فقد جاء في ورقة مقدمة لندوة عقدت في بريطانيا سنة ١٩٩٤ م ، موضوعها (انهيار الديمقراطية والتحدي الإسلامي للغرب) تطرقت إلى تجربة العلمانية في العالم العربي ، ومما جاء فيها " إن العلمانية في الغرب حررت العقل من سلطة الدين ، وحررت الدين والمجتمع من سلطة الكنيسة ، بينما هي التجربة العربية، رهنت الدين والمجتمع والعقل لكنيسة جديدة هي دولة النخبة العلمانية ، وأما يمكن تسميته بدولة (الأوتوقراطية العلمانية) ففيها بدأت العلمانية الغربية لصالح المجتمع وفي خدمته ، فإنها في التجربة العربية ظلت علي الدوام ضد المجتمع وضد طرح الجماهير وأحلامها " ويتساءل أحد الباحثين في معرض تحليله لآلية الانتقال الفكري عند المروجين للثقافة الغربية حول ما إذا كان تحوير الأفكار المتلقاة من " الغرب " عملية مشروعة ؟ فيقول : كيف يمكن لعملية التحوير هذه أن تكون ناجحة ، أي أن تسهم

في إخراج مجتمع من أزمة عميقة ، ويقصد أن هذه أن تكون ناجحة ، أي أن تسهم في إخراج مجتمع من أزمة عميقة ، ويقصد أن هذا السؤال هو الذي ينبغي أن يطرح بدل سؤال المطابقة ، ولن تكون القضية هي ما إذا كان الفكر الليبرالي العربي قد ظل أميناً لأصوله الغربية ، بمقدار ما تكون المسألة هي إذا كان هذا الفكر قد استطاع أن يسهم في ضبط وتوجيه عملية التغيير ؟ .

ويري آخر أن العلمانية في الواقع العربي قد أخفقت فكراً وتطبيقاً لأنها لم تكن نتيجة وحسيلة لتطور مجتمعي ذاتي داخلي ، بقدر ما كانت حصيلة لسيطرة الاستعمار السياسية والاقتصادية والثقافية علي المنطقة العربية ، أي أن التطور الذاتي الثقافي والسياسي لم يفض إلى نشوء العلمانية ، بما هي لحظة معرفية - سياسية فيه (أي التطور) بل إن الأثر الخارجي (الاستعمار) هو العامل الذي كان يعوض هذه الآلية من التطور الداخلي الغائبة والمفقودة ، ودون أن يكون لهذا التعويض فضل الذهاب بالتطور الثقافي السياسي العربي إلى حالته الطبيعية ، فالتعويض كان له أثره معاكس ، ومعني مغاير هو معني اغتصاب التاريخ ومصادرته والحاقه بالتاريخ (الكوني) الغربي بعد إخراجها من دائرته الزمانية الخاصة به .

وإذا كانت فصائل التغريب في العلم العربي ، علي تعدد أطرافها وبرامجها تري في النمط الفكري الغربي الخيار الأوحده للحاق بحضارة الغرب ، فإننا نتساءل ومن خلال فلسفة البقاء للأقوي عند الغرب - هل سيسمح الغرب لهؤلاء المروجين والمرددن بأن نكون أنداداً للغرب في الحضارة ؟ بصياغة أخرى : بالرغم من تمادي المتغرب في التقليد والخضوع أمام الآخر الغربي - هل سيسمح له الغرب بالانصهار ؟ وإذا كان المتغرب هو الشخص المستعمر من قبل ثقافة الغرب ، فإنه هنا يصطدم برفض المستعمر له ، إزاء جهوده العنيدة الرامية إلي تخطي الازدراء الذي يستحق من جراء تأخره وضعفه واختلافه ، وإزاء خضوعة المعجب بمن يخضعه وهمه الدؤوب علي مشاهة المستعمر ، إزاء ذلك يصفعه المستعمر مرة ثانية بالسخرية ، والمتغرب هو من يتمني قبل غيره التمثيل ، والغرب المستعمر هو الذي يرفض له إمكانية هذا التمثيل .

لقد عانى الإسلام من إشكاليات الغلبة (الغرب) لكنه لم يستسلم لوعده التماثل،
لقد تضافرت عوامل عدة في سيرورة الانهيار العام الذي أصاب نبي العالم الإسلامي وعمت
فوضي الانتماء في أعقاب سقوط دولة الخلافة ، وانتشار التجزئة والأزمات والتناقضات
الداخلية ، وتمكن القلق من إرباك المسلمين أمام قوة الغرب وتفوقه علي كافة المستويات ،
ولم يوقف شمولية الانهيار سوي ذلك الكمون القوي للإيمان في نفس المغلوبين، إذ يفضل
هذا الإيمان بقيت الشريعة نبض التواصل مع عظمة الماضي وأمل المستقبل .
استطاع الفكر الإسلامي - رغم كل مناخ القحط الدامي - أن يصمد في وجه
تيار الهيمنة الثقافية ، هذا الصمود انطلق من المقومات التي يملكها الإسلام في أسسه
ومبادئه ، وذلك في تصميم ودأب تؤكد المحاولات الفكرية المستمرة والمتطورة لإبعاد
واستبعاد أي توجه إسلامي لحركة ومسار الشعوب الإسلامية .

خلاصة

حاولنا في الصفحات السابقة تقديم إطلالة علي دراسة حالة العلاقة بين عالم الغرب
وعالم المسلمين ، فيما يتعلق بأنماط انتقال الأفكار بين الكيانات الحضارية والثقافية، وأبرزنا
أهمية ولوج هذه القضية بوصفها إشكالية تفرض نفسها من خلال التقاء الثقافات عبر التاريخ
، ومن خلال الحدث الإسلامي الحضاري الذي تناوبت أشعاعاته الفاعلة والتي امتدت من
المدينة إلى دمشق إلى سمرقند والكوفة وبغداد والقاهرة والزيتونة وأشبيلية وغرناطة من خلال
إيقاع ناجز وممتد في الزمان والمكان ، قدم لنا الإسلام خلال هذا الزخم التاريخي نمطاً ثقافياً
وفكرياً متميزاً انصهرت فيه كافة الدوائر الجغرافية والإثنية والعرقية في بوتقة واحدة اتسمت
بالتنوع في الوحدة والوحدة في التنوع ، بفضل الإمكانات التي حواها المنظور الإسلامي
لمنهجية التفاعل والتعامل والحوار مع الآخر بالرغم من الخلاف الإيديولوجي والثقافي .
وبينما مدي الثراء وزخم العطاء الذي قدمه العقل المسلم في مساره الحافل من
إسهامات وإضافات شكلت مفاصل رئيسة في مصير الإنسانية ، ولعل ما قدمه العلم
الإسلامي لبواكير عصر الإحياء في الغرب خير دليل علي إنسانية العلم وعدم احتكاره في
المنظور الإسلامي لآلية التأثير والتأثر والتفاعل مع الآخر.

وفي إطار الالتقاء الذي تم في العصور الحديثة بين العالمين الإسلامي والغربي ، ودون الدخول في تفاصيل هذا الالتقاء بينا محاولات الغرب الدائمة لربط العالم الإسلامي بالنمط الحضاري للغرب عبر فرض ثقافته المهيمنة والمسيطرة من خلال فارق القوة التي افتتح بها الغرب عصر الفتوحات الاستعمارية ، ثم حالة التراجع الحضاري التي سيطرت على مسار المجتمعات العربية والإسلامية .

بيننا في هذا الصدد منهجية الفصل التغريبي في عالم الأفكار الذي راح يروج لثقافة الغرب ومذاهبه وفلسفاته عبر صيغة انهماكية استلابية تغيب الذات والهوية وتستحضر ثقافة الآخر في إطار مبدأ - المغلوب مولع بتقليد الغالب - وخاصة في أومنة النقوص والتراجع .

وحاولنا من خلال هذا الطرح إبراز المسكوت عنه حول حقيقة الذات الغربية التي مثلت المرجعية الإيديولوجية والفكرية لكافة فصائل التغريب في العالم الإسلامي ، وإذا كنا قد وقفنا عند الوجه الاستعماري الإمبريالي العنصري حول الغرب ، فإن التساؤل الذي يميله هذا الطرح مؤداه : ألا يمكن العثور على عدد من نقاط الالتقاء والتفاعل الإيجابي بيننا وبين الغرب ؟ وهل تظل علاقتنا بحضارة الغرب يسيطر عليها طابع الصراح وهواجس الترقب والحذر وأحياناً الخوف من غرب تسيطر عليه نفسية المؤامرة والمهيمنة ، وشرق ينظر إليه الغرب كمصدر للإرهاب ومرتع للتخلف والتراجع الحضاري ؟

في هذا الصدد يمكن أن نرصد بعض الظواهر والمحاور التي نستطيع من خلالها العثور على نقاط التقاء تسعى إلى التعاون والتفاعل وتجاوز الصراع والتنازع : - لابد من إعادة النظر حول حقيقة الاستشراق عبر فضائله ومدارسه المختلفة ، حيث تبرز العديد من البحوث والدراسات الأخيرة - بالإضافة إلى جهود قديمة - أن هناك من يقوم بدراسة الشرق والإسلام من منطلقات موضوعية وحيادية علمية ، والواجب الاهتمام بهذه النوعية من الدراسات والبحوث وإبراز جوانبها الإيجابية .

- إبراز جهود فلاسفة التاريخ والحضارة مؤرخي العلم الذين قدموا غلي العقل الغربي إضافة حقيقية تتعلق بإدانة الذات الغربية ومركزيتها وعنصريتها، بالإضافة إلى

الإشادة بالأنماط الحضارية غير الغربية التي ساهمت في المسيرة الإنسانية ، واعتبروا أن لكل حضارة هويتها الخاصة وخصوصيتها التي تأتي الذوبان والإقصاء ، ونذكر من هؤلاء "أوزوالد شبنجلر"، "آرنولد تويني" و"بيترم سورويكين" و "البرت شفيتزر" و "كولن ولسون" وغيرهم.

- إبراز جهود منظمات ومؤسسات المجتمع المدني التي تقف علي طرفي نقيض مع أطماع العولمة وأنماط السيطرة التي تسعى إليها الدول الكبرى في سبيل تمهيش الدول الفقيرة والترويج لنظام جديد يهدف إلي احتواء كافة الجهود والتوجيهات للإنسان المعاصر ، لكي تصب في بوتقة الأخطبوط الرأسمالي الساعي إلي الهيمنة وسحق الشعوب المستضعفة
- أكد مسار الأحداث بعد الحادي عشر من سبتمبر أنه لا يمكن الحديث عن هوية أوربية واحدة - علي المستوي الإيديولوجي والثقافي - وإنما يمكن الحديث عن معدلات امتلاك القوة والعودة إلي فلسفة البقاء للأقوي .

- ضرورة تفعيل الاتصال بمراكز البحوث والمؤسسات العلمية والدوائر الأكاديمية التي تتسم جهودها بالموضعية في التعامل مع الظواهر المعاصرة ، والأحداث الأخيرة التي نمر بها تبرز العديد من هذه الجهود التي تسعى إلي إقامة حوار ناجز وفعال يهدف إلي راب الصدع الفكري وإقامة علاقات تهدف إلي التفاعل والتعاون واحترام ثقافات الشعوب وأنماطها الخاص .

وفي هذا الصدد فإن تجربة الحضارة الغربية تعد درساً خطيراً لفهم مصائر الشعوب والحكومات ، وكما يقول - مالك بن نبي - أنها مفيدة لبناء الفكر الإسلامي لأنها صادفت أعظم ما تصادفه عبقرية الإنسان من نجاح وأخطر ما باءت به من إخفاق ، وإدراك الأحداث من كلا الوجهين ضرورة ملحة للعالم الإسلامي في وقفته الحالية ، إذ هو يحاول ما وسعته المحاولة أن يفهم مشكلاته فهماً واقعياً ، وان يقوم أسباب نهضته كما يقوم أسباب فوضاه تقوياً موضوعياً .

وهذا الإشعاع العالمي الشامل الذي تتمتع به ثقافة الغرب ، هو الذي يجعل من فرضه الحالية مشكلة عالمية ، ينبغي أن نحللها ، وان نتفهمها في صلاتها بالمشكلة الإنسانية

بعمامة وبالتالي بالمشكلة الإسلامية .

وإذا كان قد عرضنا للفصيل التغريبي المروج لثقافة الغرب ، واعتبار هذا السبيل هو الطريق إلى الوصول إلى ما وصل إليه الغرب من تقدم ، وبعد أن أبرزنا طبيعة المناهجية الانهزامية التي سيطرت علي رموز المتغربين في العالم الإسلامي ، يصبح من الواجب التعرض لفصيل آخر يوضع علي طرفي نفيض من الفصيل الغربي وهو الفصيل الرفض لكل ما يأتي من الغرب ، وعلي كافة المستويات الفكرية والأخلاقية والعملية والاجتماعية وغيرها ، هذا الاتجاه يطرح مجموعة من المصطلحات والمفاهيم في نظرتة للآخر تتسم بالحدة والقطعية مثل : -

- جاهلية الغرب والحضارة الأوروبية .
- أزمة الغرب وسقوط الغرب .
- التدهور الأخلاقي في الغرب .
- مادية الغرب .

وقد ظهرت هذه المصطلحات وتلك المفاهيم عن البعض المفكرين والدعاة في واقعنا العربي والإسلامي ، ونحن إذا كنا نقر بحقيقة هذه المفاهيم او اختلفنا بصدها في تقييم الآخر الغربي ، فإنه لا يخفي علينا الأثر الذي تتركه هذه المنهجية علي نفسية المتلقي أو الراصد لواقعنا الفكري وإفرازاته المنهجية والمعرفية ، كما أننا لسنا في حاجة إلى بيان الخلفية الاجتماعية والسياسية التي أفرزت مثل هذه المفاهيم في واقعنا ، فهذا ليس بمجالها .

وهذا يدفعنا إلى طرح عدد من التساؤلات حول منهجية الرفض والقطعية :

- هذا التركيز علي واقع التحلل الأخلاقي في الغرب ، مع إغفالنا لإنجازات الغرب في الميدان العلمي والتقني ، سجل لنا مشكلات التخلف التي نحيها والتي روعت المسكونة والساكين ؟

- ألا يمكن الحديث عن نهضة إسلامية ، إلا مع انتظار سقوط الغرب وتدهوره وكأنه لا وجود لنا إلا في غياب الآخر ؟

- ألا يمكن الحديث عن إمكانية إيجاد خطاب ترشيدي لأزمة الغرب من خلال منهج

يبرز الوسطية والتعادلية بين المادي والروحي ، بين العقلي والأخلاقي ، بين القومي والإنساني وغير ذلك من ثنائيات .

- وبالرغم من هذا الموقف السليبي الراض للآخر بإطلاق ، لا يمكن إغفال عناصر القوة الكامنة في هذه الحضارة والتي مكنتها وتمكنها من البقاء والاستمرارية ، في الوقت الذي يشهد واقعنا المزيد من التراجع .

- ثم نأتي غلي الموقف الإسلامي في التعامل مع إنجازات الحضارات الأخرى ، وقد تحدثنا عن ذلك بوضوح ونكرر وفق صياغة اختزالية وتركيزية ، وذلك فيما يتعلق بالتساؤل : ماذا نأخذ من الغير وماذا نترك ؟ وماذا نقبل وماذا نرفض ؟ وبأي المعايير نستبعد ونرفض ونقبل ونأخذ ؟

لا شك أن المفهوم الإسلامي للحضارة ينطوي علي عدد من المرتكزات والأسس التي تعبر عن حقيقة المنظور الإسلامي من المسألة الحضارية ، وإذا كانت الحضارة في أبرز معانيها تشمل الجانبين الروحي والمادي ، فإن الإسلام في قواعده وأساسه الشرعية قد حدد وضبط مرتكزات العقيدة التي تمثل جوهر الشخصية المسلمة ، والتي لا يجوز الاجتهاد حولها ، وإنما تأتي في إطار التسليم والإذعان لأنها من الأمور التوقيفية ، ولتساءل إذا ما ترك الإنسان في حياته الروحية والأخلاقية عرضة لتجارب الخطأ والصواب ، وكيف ستكون النتائج المترتبة علي ذلك ؟ لا شك أن تجربة الخطأ والصواب لا يمكن تطبيقها علي الجوانب الروحية والأخلاقية لأن هذه النسبية ستحيل حياة الإنسان إلي التغير والتبدل وعدم الاستقرار لأنها تخضع لهوي الإنسان وتقلباته النفسية والمزاجية ، ونذكر ما يمكن أن يترتب علي هذا الخيار من نتائج سلبية وخطيرة نلمس نتائجها في غياب الواعز الديني والأخلاقي في واقعنا المعاصر .

أما عن المستوي المادي والكوني فإن الإسلام قد أطلق فيه ومن خلاله ملكات وإمكانات الإنسان في إطار مقتضيات الاستخلاف والتمكين والإعمار التي تأتي في سياق التوجيه النبوي " انتم أعلم بأمور دنياكم " ، وأيضاً في قوله صلي الله عليه وسلم " الحكمة ضالة المؤمن اني وجدها فهو أحق الناس بها " هذه التوجيهات تبرز حقيقة الموقف

الإسلامي من هذا الجانب الذي يشار إليه في إطار المصطلحات المعاصرة للعلم المادي ، بالتكنولوجيا ، بالتقنية ، بشورة الاتصالات، وغير ذلك فيما يعبر عن الحضارة في شقها المادي ووسائل المعاش ، وهي متغيرة ومتطورة ومتبدلة .

وهذا يعني أن الإسلام في موقفه من عطاء الحضارات الأخرى لا يقف حائلاً دون الاستفادة والاستعانة بالشق المادي وهو ما يعرف اصطلاحياً بالحضارة في جانبها المدني ، شرطاً ان يكون قبول أو رفض هذه المستحدثات والمتغيرات في إطار الضوابط الشرعية ، وفي إطار المجتمع الإسلامي نلمس ذلك بوضوح ، حيث تبرهن وقفة العقل المسلم مع عطاء المجتمعات الأخرى بالمرونة والاستيعاب ورفض الانغلاق والتوقع ، ونذكر مع بدايات الحدث الإسلامي وفي حضور النبي صلى الله عليه وسلم واقعة حفر خندق حول المدينة في إطار التخطيط العسكري تائراً بالفرس ، وكذلك تجربة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما يتعلق بإنشاء الدواوين وهو جانب يتعلق بالجوانب الإدارية للدولة الإسلامية ، استعانة بالفرس أيضاً ، ولن نعيد القول فيما يتعلق بالموقف الإسلامي من العلوم والمعارف في المجتمعات التي خضعت للرقعة الإسلامية .

وهذا يعني ببساطة أن هناك مساحة مشتركة من الممارسات ذات الطابع الإنساني التي لا يرفضها الموقف الإسلامي كتعبير عن التفاعل والتلاقح مع الآخر ، دون أن يخل ذلك بالحفاظ علي ذاتيتنا العقدية وهويتنا الثقافية .

ونذكر هنا أيضاً بالضوابط الشرعية حول مبدأ الاجتهاد في الشريعة الإسلامية هذا المبدأ الذي يطرح سلماً تنظيرياً يستطيع من خلاله العقل المسلم أن يمارس حياته الروحية والأخلاقية ، وهو يمارس - أيضاً - دوره الاستخلاقي والتمكيني في عمارة الكون والحياة .

وفي الإطار المعرفي والثقافي الذي تحياه المجتمعات الإسلامية ، لا بد من الاعتراف أننا نعيش مأزقاً معرفياً يترك آثاره السلبية علي مسيرتنا نحو النهوض والفاعلية ، وخاصة فيما يتعلق بجهازنا الفكري وعالمنا الثقافي ، ومن ثم يؤثر بوضوح علي تعاملنا المنهجية مع الآخر بصورة سلبية ، ويتبدى ذلك في : --

- غياب الإرادة الحضارية الدافعة إلى الإنجاز وسيطرة نفسية الوهن والخوار علي كافة المستويات في العالم الإسلام .
- الفهم المحترأ للمنظور الإسلامي للممارسة الحضارية ، ومن ثم تغيب النظرة الكلية الشاملة التي تواجه التحديات بصورة جذرية .
- طابع الفرقة والتشردم الذي يسيطر علي واقعنا السياسي والفكري والدعوي، وأثر ذلك في تنمية معدلات الإحباط والسلبية علي سلوك الإنسان في واقعنا من خلال غياب كيان وحدوي فعال، حيث تغيب وحدة الأهداف والمنطلقات ومن ثم المصير .
- فقدان المجتمعات العربية لشبكة من العلاقات الثقافية والفكرية التي تواجه المشكلات في إطار من التوحد الفكري والمرجعية التي تجمع ولا تفرق .
- الفقر الواضح في مجال المؤسسات العلمية والبحثية التي تعين الأمة علي النهوض ، وهنا نذكر برأس المال العربي والإسلامي والذي يوجه في معظمه للاستثمار الشخصي ، ويغيب توجيه رأس المال في إطار من الانتماء الوطني أو القومي أو الديني ، وفي المقابل نذكر بحجم الإنفاق الذي يوليه رأس المال في الغرب للعلم والعلماء ومراكز البحوث وهي مقارنة تقضي إلي صدمة ندرك جميعاً أبعادها .
- حاجتنا إلي تجديد خطاب الثقافة العربية الإسلامية في إطار صياغة معادلة متوازنة بين ضوابط الانفتاح ومخاطر الانغلاق .
- رصيدنا المفجع في عالم الاتصالات والحاسوب ، في مقابل ما يحوزه الكيان الصهيوني في هذا المجال ، والهند علي مثال لا الحصر .
- مناهجنا التربوية وخططنا التعليمية ما تزال تتعامل مع التقنية كمطلب ترفي أو نافلة من السوافل دون أن نفطن إلي أنها - وفي الإطار الإسلامي - تعد مطلباً شرعياً وحاجة دينية بالإضافة إلي كونها من مقاييس الغلبة والحضور في إطار الكيانات المعاصرة والتي لا وجود فيها لكيانات هامشية رصيدها من العلم والتكنولوجيا خارج الدائرة المعاصرة وخارج دائرة الانجاز الفاعل والحضور الإيجابي .
- لم يظفر عالم الأفكار في مجتمعاتنا بحقة في السيطرة علي وجوه الحياة ، وبقيمته

الاجتماعية ، باعتباره وسيلة للعمل ، وأساساً جوهرياً للنشاط ، وذلك في مقابل
سيطرة قيم التشيؤ والاستهلاك والترف الاجتماعي والمعاشي .
- أزمة التعليم الديني في أقطار العالم الإسلامي وعدم ربطة بفقہ الواقع ، وتطوير
مناهجه وتسليحه بالأدوات والوسائل التي تمكنه من مواجهة العصر .
و حين نتمكن من ضبط آليات جهازنا الفكري والثقافي في ظل نسقية ذاتية تنبع
من هوية واضحة المعالم والمرتکزات ، وحين نصصح مسارنا المعرفة الذي يحتاج إلى إعادة
صياغة ، تعود بنا إلى الدائرة الحضارية الفاعلة ، حينئذ فقط نستطيع أن نتحدث عن
الوسائل والأدوات اللازمة للتفاعل الفكري والحضاري مع الآخر .

